هوامش

رغم كل مظاهر الحداثة والتطور اللذين جعلا كوكب الأرض قرية صغيرة، يحافظ أهل قطر على العديد من التقاليد الرمضانية المتوارثة، والتي تبدأ بطقوس شعبية لاستقبال الضيف الكريم

«المسحر» طقس متوارث في قطر (العربي الجديد)

رمضان قطر

«غبقة» و«مسحر» ومأكولات وتقاليد متوارثة

الدوحة ـ **أسامة سعد الدين**

يكاد ينفرد رمضان بكونه الشهر الوحيد الذي تصاحبه طقوس وعادات وتقاليد خاصة توارثتها الأجيال، ويواصل الشبان ممارستها على غرار الأجداد، وتتشابه الكثير من تلك الطقوس والتقاليد في بلدان الخليج العربي، وإن ظل لدى كل بلد خصوصيته.

يقول الباحث في التراث الشعبي الخليجي، صالح غريب، لـ «العربي الجديد»: «يبدأ أهل قطر استعداداتهم لقدوم رمضان في مستهل شهر شعبان، وكانت ربات البيوت يجتمعن في منزل أحد الوجهاء، أو أحد كبار الأسرة، لدق حبوب (الهريس) وتجهيزها لموائد رمضان، ويستمر هذا الطقس حتى اليوم الرابع عشر من شعبان، وفيه يحتفل المجتمع القطري بليلة (النافلة)، وهي عادة تراثية قديمة تعنى بالعطاء والمشاركة، ومساعدة العائلات على جمع المكونات الأساسية اللازمة لصيام رمضان، وتذكيرهم بالنعم والبركات، وفي احتفال النافلة، توزع السيدة القطرية المأكولات الشعبية وحلوى الزلابية على الأهل والجيران».

ويوضح غريب: «بعض هذه الفعاليات اختفت، سواء طقس دق الحب، أو النافلة بشكلها التقليدي الذي كان سائداً في قطر ودول الخليج قبل التغير الذي طاول مختلف جوانب الحياة الاجتماعية، وثمة مسميات أخرى لليلة النافلة في دول الخليج، إذ يطلق عليها في المنطقة الشرقية بالسعودية وفي البحرين (الناصفة الشعبانية)، وفي عُمان والإمارات تسمى (حق الليلة)، وهي تماثل احتفالات ليلة النصف من رمضان، والتي تسمى (القرنقعوه)».

يضيف: «من ضمن عادات شهر الصيام، ما يُعرف بـ (نقصة رمضان)، وكانت عبارة عن أطباق من المأكولات للفطور أو السحور يجري تبادلها بين الأخوة والأهل والجيران، وهي تحوي التمر والقهوة العربية وبعض المأكولات والمشروبات المصنوعة منزلياً، وغالبيتها كانت بسيطة ورمزية وفي متناول الجميع، قبل أن تتحول إلى هدايا متنوعة تشمل الأواني المنزلية، والعطور الفاخرة والبخور وغيرها، وبات يمكن أن تصل تكلفتها إلى 10 آلاف ريال (2,74 ألف دولار)».

ويشير غريب إلى أن المجتمع القطري مستمر في إحياء عاداته وتقاليده وقيمه الاجتماعية الرمضانية، ومن ذلك الحرص على أداء صلاة التراويح، والتي يشارك فيها الرجال والنساء والأطفال في المساجد، وكذلك حضور المجالس العائلية والشعبية، وجرى الحفاظ على مدفع الإفطار الذي ينطلق يومياً إيذانا بانتهاء يوم الصوم، ودخول موعد الإفطار، وذلك في أكثر من موقع في العاصمة الدوحة وخارجها، من بينها الحي الثقافي «كتارا»، وسوق واقف، وفي ميناء الدوحة القديم، وفي مدينة الخور (شمال)، وفي مدينة الوكرة (جنوب). يتابع: «يحرص أهل قطر أيضاً على الاحتفال بليلة القرنقعوه في النصف من رمضان، وهي تقليد خليجي قديم متوارث، ولها تسميات شبيهة في دول الخليج، إذ تُعرف بـ (القرقشون) في المنطقة الشرقية بالسعودية، و(القرقعان) في الكويت، و(المندوس) في سلطنة عمان، وإن اختلفت التسميات، فهذا الموروث متشابه، وما زال أهل الخليج متمسكين به بشكل لافت. أما (المسحر) فقد كاد يختفي بحكم أنه لم يعد له دور يذكر، على خلاف ما كان في الماضي، حين لم تكن الهواتف منتشرة، وبث التلفزيون غير متواصل طوال اليوم، وبالتالي لم تكن إمكانية معرفة التوقيت لإيقاظ الناس متوفرة، وإن غاب دور المسحر التقليدي، إلا أنه يظهر في المهرجانات والفعاليات الرمضانية، وهو موجود على سبيل المثال في ميناء الدوحة القديم، لتعريف الأجيال بهذا الموروث الرمضاني، كما ينظم ميناء الدوحة القديم خلال رمضان مهرجان (أكل أول)، والذي يعتبر رحلة إلى الماضي، تستعرض أقدم مطاعم قطر».

وحول دور المرأة في طقوس رمضان، تقول الباحثة المتخصصة في الاستدامة، ميرفت إبراهيم، لـ«العربي الجديد»، إنه مع إعلان لجنة تحري الهلال دخول رمضان، تحرص المرأة القطرية على أن تدخل روحانيات الشهر الكريم إلى بيتها،

ويبدأ ذلك بانتقاء لباسها التقليدي بعناية من أجل التجمل به طيلة أيام الشهر، وهي بذلك تغرس في بناتها قيمة التمسك باللباس التقليدي ليظل متوارثاً.

تضيف إبراهيم: «كانتِ المرأة قديماً في قطر تقوم بتنظيف البيتِ، وإعداد الطعام للأسرة، وطحن حبوب الهريس، وإضافة الليمون الأسمر والبهارات إليها، كما تجهز الثياب الخاصة بالبنات والأولاد من (الدرعات) و(البخانق)، وتتولى الطبخ، وتوزيع الأكلِ على الجيرانِ في (الفريج)، وكل ذلك قبلَ آذان المغرب بنحو ساعة ونصف الساعة، ويتواصل ذلك طوال أيام شهر الصيام، ومع اقتراب منتصف الشهر، تقوم بصنع الأكياس المتعلقة باحتفال القرنقعوه، كما كانت الحناء من بين الطقوس المهمة، وكانت عادة عبارة عن الهلال أو النجمة أو الخطوط على الأصابع».

تتابع: «تشارك المرأة في إعداد الغبقة، وهي أحد أبرز المظاهر المتوارثة التي يحافظ عليها أهل قطر ضمن موروثهم الشعبي، وهي وليمة تؤكل عند منتصف الليل، وتعتبر فرصة لتعزيز التعارف والترابط الاجتماعي، ويلتزم فيها الجميع باللباس التقليدي، ويحرصون على إبراز كل ما له علاقة بالتراث. وأصل لفظة غبقة في اللغة العربية يعود إلى الغبوق، وهي عادة عربية قديمة تعني تناول الطعام في وقت متأخر من الليل، وتعدّ خلالها وجبة متوارثة اسمها (لمحمر)، وهي مكونة من الأرز المطبوخ بخلاصة التمر مع سمك الصافي المقلي، وظلت هذه الوجبة متربّعة على مائدة الغبقة حتى ستينيات القرن الماضي، لينضم إليها لاحقاً العديد من الأطباق الأخرى».

وتوضح الباحثة إبراهيم: «تجمع الغبقة الأهل والمعارف على الطعام، وثمة غبقة خاصة بالشباب، وأخرى يحضرها الكبار، كما أن للنساء غبقتهن، وقديما كانت تلك العادة محصورة في الأهل والجيران، لكن مع تغير طبيعة المجتمع أصبحت تتخذ أشكالاً متعددة، فأصبحت تقام في المجالس بحضور الأصدقاء والمعارف، واهتمّت الفنادق والمطاعم بهذا التقليد الرمضاني، وباتت الغبقة موجودة في الخيام الرمضانية، كما وجدت الشركات والهيئات الحكومية والخاصة ومؤسسات المجتمع المدني فيها فرصة لتعزيز العلاقات بين منتسبيها».

باختصار

اعتاد أهل قطر على بدء استعداداتهم لقدوم رمضان في مستهل شهر شعبان عبر ترتيب البيوت وتجهيز لوازم الموائد اليومية

■■■

يحرص القطريون في رمضان على أداء صلاة التراويح وحضور المجالس العائلية، كما جرى الحفاظ على مدفع الإفطار الذي ينطلق يومياً

■■■

الغبقة والقرنقعوه من بين أبرز العادات التي يحافظ عليها أهل قطر ضمن موروثهم الشعبي

وأخيراً

«بين السطور»... سذاجة الحبّ وطرفة الجريمة

رشا عمران

صدف أنني تابعت، أخيرا، وفي وقت متزامن، مسلسل «بين السطور» (إخراج وائل فهمي، وبطولة صبا مبارك وأحمد فهمي، وهو مأخوذ عن مسلسل كوري يحمل عنوان misty صدر عام 2018) وواحداً من مسلسلات كشف الجرائم الأميركية المشهورة. ورغم أنه لا توجد صلة بينهما، فمسلسل الجرائم يحكي عن فريق يكشف الجرائم، وفي كل حلقة جريمة مختلفة. بينما محور «بين السطور» مذيعة تُتّهم بجريمة قتل يتم الكشف عن مرتكبها في الحلقة الأخيرة. إلا أنني لم أتمكّن من أن أنحّي المقارنة بينهما جانبا؛ ذلك أنه في المسلسلين هناك جريمة وهناك قصص إنسانية وضعف بشري وعقد نفسية واضطرابات سلوكية نفسية، غالبا ما تكون هي الدافع لارتكاب الجريمة، أو هي محرّك للحدث الدرامي في هذا المسلسل أو ذاك. لا يترُك المحققون في المسلسل الأميركي ثغرةً واحدةً في أي جريمة يحقّقون بها لاكتشاف المجرم، مستخدمين كل ما أنتجه العالم من التقنيات الحديثة في تحليل البصمات واكتشاف الحمض النووي والآثار المختلفة المتروكة في مسرح الجريمة، حتى التي تبدو أنها لا تعني شيئاً، ويضعون الافتراضات المختلفة بشأن طريقة ارتكاب الجريمة، ثم يجري تسليط الضوء على دوافع الجريمة الاجتماعية والاقتصادية والنفسية، وعلى العلل والتشوّهات النفسية المصاب بها المجرم أو المجرمون، وهل هي فردية مكتسبة أم جينية جمعية في عائلة المجرم، ما يستدعي متابعة حالة أطفال العائلة. يرفق ذلك كله بحوار رفيع المستوى عن السلوك العنفي في المجتمعات البشرية وعن علم النفس والفلسفة والعلم والتقنيات الحديثة، من دون إهمال للقصص الإنسانية اليومية لفريق المحقّقين والتركيز على نقاط الضعف في شخصياتهم والتي تترك أثرها أحيانا على تحليلهم للجريمة. باختصار، وجدت نفسي وأنا أتابع هذا المسلسل أمام ما يشبه الموسوعة في علم النفس والقانون ودوافع الجرائم والتحليل المنطقي العقلاني للأحداث، رغم كل المبالغات الأميركية المعهودة. بينما لا نعرف في مسلسل «بين السطور» لماذا تفعل الشخوص ما تفعله. ما هي، مثلا، الاضطرابات النفسية التي تجعل محمود وجمال وحاتم متعلقين بشكل مرضي بهند بطلة المسلسل؟ ما دور تنشئتهم في الأمر، والثلاثة يُقدّمون لنا أنهم من عائلات من الطبقة المتوسّطة المتعلمة والميسورة الحال. ولا نعرف الدوافع الحقيقية لسلوكهم الساذج تجاه كل ما يتعلق بهند (لم أتمكّن من متابعة المسلسل الكوري الأصلي لأعرف إن كان بالسذاجة نفسها). لا يوجد في المسلسل أي منطق في سيرورة الأحداث، ولا ضرورة وجود الشخصيات وتحوّلاتها، يضع المسلسل جميع شخوصه في ثنائية الخير والشر فقط، وكأن النفس الإنسانية لا تتأرجح غالباً بين البينين، بحيث يبدو سلوك شخصٍ ما، مطلق شخص، محيّرا لفرط اختلاط الخير والشرّ فيه. أما بخصوص جريمة قتل جمال فهي طرفة المسلسل بحقّ؛ فالمقدّم علاء لا يتبع في محاولة اكتشاف الجريمة سوى حدسه الشخصي الذي يقول له إن هند هي التي ارتكبت الجريمة (يتّضح لاحقا أن لا علاقة لها بالأمر)، لا يحاول اكتشاف البصمات ولا إفراغ محتوى الكاميرات ولا تحليل الآثار الموجودة في مسرح الجريمة، ولا وضعية الجثة.

> ذريعة ضعف القيمة الإنتاجية لم تعُد صالحة لتبرير السذاجة والرداءة في المنتج الدرامي العربي

ثمّة افتراض وحيد يطلقه في وجه جميع من حقّق معهم بينما يتّجه عقله نحو هند فقط. التي يكرهها، بقدر حب الثلاثة لها، من دون أن يشرح لنا صنّاع العمل سبب هذا الكره، سوى الثنائية الأخرى التي يضعها المسلسل إلى جانب الخير والشر: الحب والكراهية. لا يقدّم «بين السطور» أي معلومة مهمة للمتابع، ولا على أي مستوى، لا الثقافي ولا العملي ولا النفسي ولا الاجتماعي ولا حتى المهني الصحافي والقانوني (معظم الشخصيات تعمل في مجالي الإعلام والقانون) ولا الدبلوماسية، فالضحية متجنّس بالجنسية الأميركية، وجاء إلى مصر للمشاركة في بطولةٍ رياضيةٍ ليلعب مع الفريق الأميركي. ومع ذلك، لم نر أي وجود للسفارة الأميركية في التحقيق أو في الإجراءات الأخرى كما يفترض في هذه الحالات.

بقي أن أشير إلى أن مسلسل الجرائم الأميركي منتج قبل عشر سنوات، أي قبل طفرة المنصّات الحديثة بكل ما تملكه من قدرة إنتاجية عالية، ومنها المنصّات العربية التي أنتجت إحداها «بين السطور»، ما يعني أن ذريعة ضعف القيمة الإنتاجية لم تعُد صالحة لتبرير السذاجة والرداءة في المنتج الدرامي العربي.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالا**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,50**, Austria **€ 2,50**, Belgium **€ 2,50**, France **€ 2,50**, Germany **€ 2,50**, Holland **€ 2,50**, Italy **€ 2,50**, Spain **€ 2,50**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 10,00**, USA **$ 2,00**